



الورقة الاقتصادية العربية، وحماية المقدسات الإسلامية

السبت, 22 ايلول 2012

د. سامي معاري

يقول المفكرون بأن لكل قوي نقطة ضعف مهما بلغت قوته، وتعاضم شأنه، واتسع نفوذه. وأن لكل ضعيف نقطة قوة مهما كان ضعيفاً، ويبقى عليه أن يمسك بزمام المبادرة ويمتلك الشجاعة الكافية لاستنهاض كوامنه وتفعيل إمكاناته، وتوظيف مقدراته في سبيل الدفاع عن وجوده ومقدساته وهويته الحضارية المهددة.

وعند النظر إلى حال الأمة العربية والإسلامية في أهوال الإساءة المتكررة لمقدساتها ورموزها الدينية نلاحظ بكل وضوح حجم الاستهانة بهذه الأمة والتجرؤ عليها والتطاول المقزز على رسولها الكريم محمد - صلى الله عليه وسلم.

وفي أية محاولة لتفسير ما يجري تذهب التفسيرات دوماً باتجاه الحالة السياسية العاجزة التي وضعت هذه الأمة في ذيل الأمم وفي آخر ما يحسب له حساب، واعتبار هذه الهزيمة التي تعيشها الأمة هي السبب الرئيس الذي يجعلها عرضة للاعتداء والاحتقار والانتقاص لأن المهزوم مأزوم من كل النواحي.

فيما يتناسى من يريد التناسي مقدرات الأمة وإمكاناتها التي يمكن أن تضرب بثقلها حاجزاً منيعاً ضد هذه الأشكال البذيئة من الحرب على أمة كان رسولها الكريم قد أرسى في الأرض أولى القيم التي تحترم حقوق الديانات الأخرى وتلك المنظومة من القيم لم تكن مجرد تعاليم مكتوبة بجمود في مخطوطات مغلقة بالنسيان والإهمال، بل كانت أعمالاً ممنهجة وقدوة متبعة تمثلت في زيارة النبي لليهودي الذي كان يرمي القمامة في طريقه عندما افتقد النبي أذاه فعلم بمرضه فزاره.

هذا على سبيل المثال فكيف لو كان على سبيل الحصر لتلك النماذج الفريدة والأمثلة الرائعة والتجارب الاستثنائية التي تركت للتاريخ تأملاته المدهشة وهو يسجل تاريخاً أخلاقياً مذهلاً؟؟؟

فأين المقدرات الاقتصادية التي تملكها الدول العربية وبحار النفط التي تسبح تحت صحرائهم في مواجهة هذا العدوان؟؟؟ وأين العلاقات التجارية التي تشكل شرياننا لتلك الدول الغربية مع بلادنا وما الذي يمكن أن يتحقق فيما لو شعرت تلك الدول المصدرة للاعتداءات علينا بأن كل تلك المكاسب التجارية عرضة للخطر بسبب أشباه الفيلم المقرز المسيء لكل من عنده ذرة من دين أو خلق أو كبرياء؟؟؟

وإذا كانت العلاقات الدبلوماسية بمنأى عن تلك الاحتمالات وآليات الرد، فماذا عن الورقة الاقتصادية التي هزمت بريطانيا العظمى في الهند عندما قاطعت الأمة الهندية البضائع الاحتلالية البريطانية، وقد غلقت الأسواق الهندية في وجه ما يجلبه لها المحتل من بضائع؟؟؟

ماذا عنا ونحن سوق استهلاكية أصلاً، أي أنهم هم المتضررون من قطع العلاقات التجارية لأنهم هم المستفيدون من بقائها ما دنا سوقاً استهلاكية وهم المنتج والمُصدّر؟؟؟

لماذا لا تكون مقاطعة للبضائع الأمريكية خياراً هاماً في ضوء فضيحة هذا الفيلم؟

وإذا كانت الأنظمة السياسية والحكومات العربية والإسلامية أوهن من أن تتخذ مثل هذه القرارات فماذا عن الكفاح الشعبي السلمي ضد هذه المنتجات كما فعلنا مع البضائع الدنماركية عندما ظهرت الرسوم المسيئة للرسول الكريم قبل بضع سنين وقد تكبدت الدنمارك حينها خسائر فادحة منعت تكرار مثل تلك الأعمال المشينة؟؟؟

دول الخليج تستورد البضائع والماكينات والخبراء من الولايات المتحدة فما الذي هم فاعلوه الآن؟

علماً بأن هذا الاستيراد خاصة في المجال البشري يمثل مخاطر جمة على الشعوب العربية اقتصادياً واجتماعياً وهي مخاطر تمس الهوية والانتماء أحياناً.

ولعل من أبرز أنواع المستوردات العربية من أمريكا هو استيراد الأغذية والحبوب ما يجعل الدول العربية مستعبدة من جديد لدى تلك الدول لأن لقمة العيش تمكن الدول الكبيرة من رقابنا وتعيدنا إلى عصور الرق، في الوقت الذي نمتلك فيه كل المقومات الأساسية لنهضة زراعية واقتصادية تعتمد على مواردها وتبعثها من البلى.

تستورد الدول العربية 80% من احتياجاتها الغذائية، حتى أن الولايات المتحدة أقنعت دولاً عربية في العقود الخمسة السابقة بعدم زراعة القمح في بلدانها التي تمتلك القدرة على ذلك أصلاً تحت حجة أن استيراده من الولايات المتحدة أقل كلفة من زراعته وإنتاجه في بلداننا العربية، فليس من قبيل الصدفة أن تستورد حكومة الجزائر في العام المنصرم 500000 طن من القمح الأمريكي.

وليس من قبيل الصدفة أن قطاع الزراعة في العالم العربي يشهد منذ الستينيات انحداراً وصل حد الهاوية لدرجة أن بعضاً من دولنا العربية يشكل إنتاجها الزراعي صفراً.

فيما يحتل استيراد الخبراء والعاملين في دول الخليج قدرا كبيرا وهم يلعبون دورا رياديا في قطاع الصناعة بتلك الدول علما بأن استيراد هؤلاء الخبراء يمنع انتقال الخبرة إلى الكوادر البشرية العربية ما يمنع تبوءهم لادوار ريادية في قيادة المجتمع وبناء الدولة.

وإذا كان هؤلاء الخبراء الأجانب لديهم القدرة والحرية في نقل خبراتهم إلى دولنا العربية فلماذا ما زال التخلف صفة عامة للصناعة في الدول التي تستورد هذه القدرات البشرية لتحولها من مستورد إلى مُصدّر؟؟؟

أما في مجال الأسلحة فلعل أعظم الأمثلة على استيراد العرب للأسلحة الأجنبية وخاصة من أميركا هو تصدر السعودية دول الخليج في العام 2011 كأكبر شريك عسكري لأميركا بتكلفة 33 مليار دولار قيمة صفقات أسلحة مستوردة.

ألا تستطيع هذه الدول أن تراهن على هذه الورقة في التأثير على إحداث التوازن في العلاقات بين الدول العربية والغربية؟

هذه المليارات كلها التي تصب في الخزينة الأمريكية، ألا تستطيع إحداث تغيير في نمط العلاقة والنظرة المتبادلة بين العالمين؟

إن التحرر من عقلية التبعية الاقتصادية هو مقدمة التحرر من الهيمنة الاستعمارية ككل ولكوني مؤمنا بأن التبعية الاقتصادية العربية للغرب هي سبب الصمت اتجاه هذه الإساءات على مقدساتنا فسوف أظل أدعو إلى الفكك من هذه الأغلال والقيود.

لكن لو تخيلنا حجم الخسائر التي يمكن أن تتكبدها الولايات المتحدة فيما لو قاطع العالم العربي ولو بشكل جزئي التجارة الأمريكية من خبراء وأسلحة وأغذية ... إنها صاعقة اقتصادية مدمرة خاصة أن الاقتصاد الأميركي منهك ويتعرض لاختناق وأزمة مالية عالمية تاريخية، لكننا نمد لهم يد العون والإنقاذ الاقتصادي بصفقات الأسلحة وغيرها فيما كان بإمكاننا أن نحقق مصالحنا من خلال الورقة الاقتصادية عصب الحياة وشريانها.

لا بد لردات الفعل أن تكون ممنهجة وأخلاقية مثل مقاطعة البضائع الأميركية مثلا...

وفي الخلاصة أنقل إليكم أسفي الشديد وحزني العميق على قيام شاب لبناني بالتفاخر بأنه أول من اشترى النسخة الجديدة I phone 5 في الشرق الأوسط بقيمة \$ 200000 فيما كنت أتمنى أن يكون هذا الشاب قد أعلن بأنه أول من قاطع الآي فون احتجاجا على الفيلم المسيء وانتصارا لكرامة الأمة وقدسيتها رموزها وفي مقدمتها النبي الكريم صلى الله عليه وسلم.

